كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة السادسة باللغة العربية: الاثر الحضاري للعرب المسلمين في الساحل الافريقي الشرقي

اسم المحاضرة السادسة : باللغة الإنكليزية : The cultural impact of the Muslim Arabs on the East African coast

ج- الاثر الحضاري للعرب المسلمين في الساحل الافريقي الشرقي :

بعد كل الذي عرضناه في قضية انتشار الاسلام والوجود العربي في الساحل الافريقي الشرقي . يحق لنا ان نسأل ما الاثر الحضاري الذي تركه استقرار العرب

والمسلمين من هذا الساحل؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد في البدء من القول ان تأثير الوجود العربي في الساحل الأفريقي الشرقي لم يقتصر على تكوين مجتمع منفصل عن السكان الأصليين او مجرد شرائح من الطبقات العليا جاءت من أجل هدف عابر وظلت غريبة عن اهل البلاد. ذلك ان بضع مئات من السنين مرت على التراكم السكاني العربي في هذه المنطقة كان اشبه بعملية اندماج بشرية وحضارية تركت آثارها البعيدة في المعطيات الحضارية لمستقبل هذا الجزء من افريقيا. واذا صح لنا ان نسال هل اقتصرت عملية التأثير على طرف واحد فكأن العرب هو المؤثرون والافارقة هم المتأثرين او بمعنى آخر هل كانت عملية الاحتكاك احادية الطرف؛ فان الجواب ان الزخم الحضاري الذي تركه العرب والمسلمون عبر مئات السنين كان الاضخم من ناحية التبادل الحضاري، ومع . ذلك فان افريقيا اعطت ما عندها للقادمين العرب وفتحت لهم ذراعيها وقدمت منتجاتها، وبعض معالم حضاراتها القديمة وتقاليدها الراسخة، وهناك راي يذهب اليه المختصون يقول، أن الاسلام بما ينطوي عليه من انفتاح وسماحة سمح لبعض الاعراف الافريقية القديمة بان تستمر ما دامت غير متعارضة مع مبادئ العقيدة الاسلامية، وهذا يذكرنا بكل مجتمع غريب من بلاد العرب انتقلت اليه الحضارة الاسلامية. ولكن هذا ينبغي القول ان سمة المجتمع الأفريقي الشرقي الساحلي من الصومال حتى الموزمبيق تحولت الى شيء جديد حقا، لغة ودیناً وحضارة وان ظلت بعض مع تقاليده القديمة قائمة.

والواقع ان اول واهم اثر للوجود العربي في ساحل افريقيا الشرقي هو تغلب الاسلام، دينا وطريقة حياة ونظاما على الحياة القديمة في مجتمع الساحل. في البدء بقي الاسلام محتفظا بطابعه الذي كان عليه في شبه الجزيرة

العربية، لكنه بمرور الزمن، ويكثرة الاختلاط والتزاوج مع سكان الساحل تأثرت نظم الحياة العربية الاسلامية، ولكن لا يغرب عن بالنا ان ما اخذه العرب المسلمون كان انتقائيا ومنسجما مع مبادئ العقيدة الاسلامية. والواضح ان الاسلام انتشر على يد العرب في الساحل الشرقي بطريقة سليمة وتدريجية مما ساعد على نجاح تعزيز الثقافة والحضارة العربية في هذه المنطقة، كما كيف نفسه مع الثقافة والبيئة الاجتماعية التي حل فيها مما ادى الى ظهور انماط جديدة في اللغة والثقافة والجنس ايضا هي خليط من العربية والافريقية عرفت بـ... (السواحلية) .

كما ان تدفق الهجرات العربية الى الساحل الأفريقي الشرقي واستقرارهم بشكل دائم به ادى الى ظهور تغيرات واسعة في اوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فقد حملت هذه الهجرات معها اضافة إلى دينها، نظمها وثقافتها ولغتها، وهكذا امتصت افريقيا الشرقية اصول الحضارة العربية الاسلامية.

ان الاختلاط والاندماج التدريجي الذي حدث بين العرب وسكان الساحل الافريقي الشرقي والذي اخذ مداه في عمق المجتمع الأفريقي وفي حقبة زمينة طويلة، نجم عنه نشوء الجنس السواحلي الذي يحمل صفات وعادات وتقاليد عربية وافريقية. ويعود نشوء الجنس السواحلي الى لاوقت مبكر وهو ثمرة عمليات المصاهرة التي تمت على مدى طويل بين قبائل البانتو الأفريقية وبين المهاجرين العرب الذين استقروا في أفريقيا الشرقية، وقد اعتنق السواحليون الاسلام وصاروا يقلدون العرب في كل ما يتصل بحياتهم الاجتماعية .

وبمرور الزمن وباستمرار عملية التفاعل والاختلاط بين العرب وسكان افريقيا الشرقية نشأت لغة جديدة هي ا اللغة السواحلية " " ـ هذه اللغة تستخدم الحروف العربية، وهي خليط من اللهجات الافريقية، وخاصة البانتوية، واللغات العربية والهندية وغيرها.

وتتميز هذه اللغة بكثرة المفردات العربية فهي فيها أكثر منها في آية لغة أخرى، لا سيما المصطلحات الخاصة بالعقائد والشعائر الدينية، والالفاظ الخاصة بالشؤون التجارية والفنية وغيرها. فاللغة العربية اعطت صفة التقدم للغة البانتوية البدائية التي كانت محصورة في نطاق فكري ومادي محدود، واللغة دائما دليل على روح العصر فكلما كثرت فيها المصطلحات التي تدل على قيم رفيعة وتعبر عن تقنيات جديدة كان المجتمع أكثر تقدما.

ومن الجدير بالذكر ان اللغة السواحلية انتشرت انتشارا واسعا نتيجة لازدياد الحركة التجارية في الساحل الافريقي، فالتجارة قد استدعت واستوجبت تبادلا واسع النطاق على المستوى العالمي، مما جعل اللغة السواحلية تستعير من اللغة العربية كل ما هو ضروري ولازم لعملية التبادل التجاري العالمي.

فاللغة السواحلية غنية بمفردات استعارتها من العربية ، وهذا الأمر لم يمنع من ظهور اختلاف في بعض الألفاظ وطريقة نطقها من منطقة إلى أخرى، كما أصبح لها قواعد خاصة في الأدب والشعر. ولا بد من القول ان استخدام

اللغة السواحلية في افريقيا الشرقية قد مكن العرب من سهولة وسرعة التفاهم مع القبائل الافريقية، وبالتالي التأثير الحضاري فيهم.

وظهر التأثير العربي الاسلامي ايضا في طراز بناء المدن والعمائر في الساحل الأفريقي الشرقي، وهناك اوصاف تفصيلية كثيرة لها تجعلنا نقول انها عربية في تخطيطها وفن عمارتها والمواد المستخدمة في بنائها مما تشهد على عظمة الفن الاسلامي في ساحل افريقيا الشرقي.
كما ادى استقرار العرب المسلمين في شرق افريقيا وانتشار الاسلام في المنطقة الى ظهور ضرورة تهيئة مراكز العبادة للمسلمين فكان بناء المساجد في كل مدينة من مدن الساحل الافريقي الشرقي. بل كان عدد المساجد الكبيرة في المنطقة يدل على المعماري العربي هي من اعتناق المنطقة للاسلام منذ القرنيين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، وعلى الطابع العربي الاسلامي الذي اتخذته تلك المساجد، فالمساجد الكبيرة المزخرفة بنقوش اسلامية جميلة تجدها في مقاديشو وزنجبار ومومبا سا وغيرها من المدن السواحلية..
اما عن مظاهر الحياة الاجتماعية في الساحل الأفريقي الشرقي، فعلى الرغم من ان معلوماتنا قليلة عن هذا الجانب، الا انا نستطيع القول ان التأثير العربي الاسلامي يبدو واضحاً فيه. فالملابس التي ارتداها سكان المنطقة . طراز اللباس العربي الاسلامي نفسه من حيث أنواعه ومواد صنعه ونقوشه. كما نجد التأثير العربي واضحا في طعام السكان في الساحل من حيث مواده وطرق صنعه والادات المستخدمة في عمله تهيئته وتناوله.

كما كان للاستقرار العربي المستمر والطويل في ساحل افريقيا الشرقي اثره في ادخال محاصيل زراعية ذات اصل اسيوي كالرز والقطن وقصب السكر والذرة والنباتات العطرية وغيرها، اذ لا بد للمراكز والمدن التي انشأها |العرب في المنطقة واستقروا فيها ومارسوا نشاطاتهم التجارية والسياسية منها من ان تؤمن حاجاتها الاقتصادية عن طريق انتاج زراعي ثابت لمحاصيل السوق في الاقل جاء اهتمام عرب الساحل بالزراعة وادخلوا انواعا جديدة من المزروعات اليه. فقد زرعوا في مدنهم اضافة الى الحبوب، الفواكه مثل البرتقال والرمان والأترج، زرعوا الخضروات ايضا.

ولا بد من كلمة أخيرة عن أثر الثقافة العربية الاسلامية في شرق افريقيا. فلقد أدت المساجد دورا مهما وفعالا في هذا الجانب. فالعرب المسلمون الذين استقروا المنطقة وجهوا اهتمامهم إلى الدراسة والتعليم فنشروا القراءة

والكتابة بين سكان المنطقة، وبنوا المدارس من اجل هذا الغرض، اضافة الى الحلقات الدراسية التي كانت تقام في الجوامع.

كان من نتاج اهتمام سكان الساحل بأمور التعليم ظهور مجموعات من المهتمين بشؤون العلم والمعرفة، منهم الفقهاء والمختصون بشؤون الشريعة الاسلامية، ومنهم المهتمون بشؤون الادب العربي، كما ظهرت في ساحل افريقيا الشرقي مجموعة من المؤلفات باللغة العربية منها (السلوة في تاريخ كلوة) و (تاريخ باتا) وغيرها. وفوق هذا كله فقد كان للعلماء والفقهاء والقضاة مكانة .مرمو قة في المجتمع السواحلي.